تجلّيات الموت المعنويّ ودلالته في ديوان "نبيذها أم دمي؟" ل «ياسين أفريد»

The Manifestations of Moral Death and its Significance in acollection "Her Wine or My Blood ?" To Yassin Afried

1 د. سامية غشّير*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)،samiaghechir@gmail.com

2 د. سامية كعوان

جامعة باجي مختار عنّابة (الجزائر) kaouanesamia872@gmail.com

تاريخ الارسال2023-02-07 تاريخ القبول 2023-08-08 تاريخ النشر2023-09-30

ملخص:

يُشكّل خطاب الموت بنية مهمة في القصيدة الجزائرية المعاصرة، لقد تطرّق الشاعر الجزائري المعاصر إلى هذا الخطاب معبّرا عن آلامه وأحزانه، فالموت في النص الشعري تعددت تجلياته ودلالته المادية والمعنوية، لذلك اخترنا تجليات الموت المعنوي ودلالته في ديوان "نبيذها أم دمي؟" للشاعر «ياسين أفريد»، وتكمن أهمية هذه الدراسة في معرفة أهمية خطاب الموت في تحقيق جمالية النص الشعري، ومن خلالها طرحنا الإشكالية التالية: ما هي تجليات الموت المعنوي وما دلالته؟ ولقد تجلى الموت المعنوي من خلال المشاعر، الذات الشاعرة، الشّعر، والاغتراب، إذ اعتمد الشاعر على عناصر متنوعة من خلالها تجاوز الموتُ مفهومه المادي، ودل الموت المعنوي على الاغتراب وتحولات الحياة، والبعد عن الوطن، والألم، والمعاناة.

الكلمات المفتاحيّة: الموت، الذات، المأساة، الشّعر المعاصر، المشاعر.

Abstract:

The discourse of death constitutes an important structure in contemporary Algerian poetry. The contemporary Algerian poet touched on this discourse, expressing his pain and sorrows. Death in the poetic text has many manifestations and its material and moral significance, so we chose The Manifestations of moral death and its significance in the collection of "her wine or my blood ?" by the poet «Yassin Afried» The importance of this study lies in knowing the importance of the discourse of death in achieving the aesthetics of the poetic text, and through it we raised the following problem: What are the manifestations of moral death and what is its significance? Moral death was manifested through feelings, poetry, the poet's self, and alienation, as the poet relied on various elements through which death exceeded his physical concept, and moral death indicated alienation, the transformations of life, and distance from the homeland. pain and suffering**.**

Keywords: death, self, tragedy, contemporary poetry. Feelings.

* المؤلف المرسل : سامية غشير

1. مقدّمة:

يمثّل الموت موضوعا مهما في الشعر الجزائري المعاصر، حاول الشاعر من خلاله التعبير عن مشاعر الذات ومعاناتها، ولقد شكّل الموت المعنوي بنية مهمة في القصيدة الجزائرية المعاصرة، وذلك يعد انعكاسا لواقع الحياة، وتحولاتها، وللموت المعنوي دلالة تتحقق بفعل رمزية اللغة وإيحاءاتها، مما يجعلها منفتحة على تعدد المعنى، معبرة بعمق عن رؤية الشاعر لمختلف قضايا العصر، لذلك كان بحثنا موسوما بـ:"**تجليات الموت المعنوي ودلالته في ديوان "نبيذها أم دمي؟" للشّاعر «ياسين أفريد»**"، طرحنا من خلاله التساؤلات التالية:

- ما هي تجليات الموت المعنوي وما دلالته في ديوان "نبيذها أم دمي؟" ل «ياسين أفريد»؟
- إلى أي مدى وفّق الكاتب في تحقيق رؤيته من خلال خطاب الموت المعنوي؟

وتهدف الدراسة إلى معرفة آليات تشكيل خطاب الموت المعنوي والوصول إلى دلالته، وتحديد رؤية الشاعر من خلال توظيفه لهذا الخطاب. وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج السيميائي كونه الأنسب للوصول إلى الدلالة الكامنة في النص.

2. المشاعر وتجليات الموت المعنوي:

تعدّ المشاعر مجالا خصبا للتّعبير عن الموت المعنوي، فهي المكون الأساسي لتجلياته، إنّ الفرح والحزن، الأمل واليأس، الحب والكره، ثنائيات ضدية غالبا ما تتجلى كحقول دلالية لمعجم الموت المعنوي، فلا يقتصر معنى الموت على الألفاظ السلبية فقط، لأنّ في الشعر المعاصر استطاع الشاعر أن يعزف بإيقاع حزين مستعملا كلمات الفرح، فلم تعد للكلمة دلالة ثابتة لأن معناها تأخذه من سياقها الدلالي، ومن بين العناصر الّتي ساهمت في تجلي الموت المعنوي نجد:

1.2 . الصدق:

تجلى الصدق في ديوان "نبيذها أم دمي؟ قاتلا، والصدق قد يكون سببا للموت المعنوي، عندما يحمل حقائق لا يريدها العقل، فتكون هذه الحقائق قاسية مؤلمة، تمثل سببا للموت المعنوي، يبث الشاعر آلامه وقد رأى في صدق المشاعر عذاب قاتل وفي ذلك يقول:

"قاتل صدقُكِ الآن
أكثر من ما مضى
قاتل ذاك التألق لما تغيبين
لما تجيئين"[1]

أصبح الصدق قاتلا، والصدق في معناه اللغوي يعني الحقيقة والوفاء وكل ما يعزّز الحياة ويجعلها تخلو من الخداع، رغم ذلك يراه الشاعر مجالا للموت، وتزداد دلالة القتل بمضي الزمن، ولا فرق بين الحضور والغياب. كلاهما تألق يعزّز معنى موت الذات، هي صرخة شاعر أمام ألم المشاعر، صرخة شاعر رأى في الصدق موتا، وفي التألق موتا،

هذا الموت يأخذ دلالته المعنوية من مفارقة الصورة الشعرية الّتي جعلت ذات الشاعر ضعيفة لا تقاوم الصدق والتألق في الغياب والحضور، فكأن الشاعر يتمثل تجربة الصدق القاتل، ولأن لغته تجاوزت المألوف بانزياحها فإن ذلك يجعل المعنى قابلا للتصديق من طرف المتلقي، وذلك من خاصية الشعر أن يجد فيه القارئ تجربته.

2.2 . الحبّ:

ارتبط مفهوم الحب بثيمة الموت في الشعر العربي عبر مراحله المختلفة،"لأن الحب لا يمكن أن يُقال إلا شعرا، كذلك الموت"[2] ولأن قيمة الحب تكبر كلما قارب الموت، ويبدو الحب خطيرا في قول الشاعر:

"وتسحبني التوّ من موضع الجرح
في لحظة التجلي
وتسحبني من ندوب خوال
قاتِل حبّك المصطفى
وقاتلة هذه الاختلاجات،
هذي الوساوس،
هذا الوفا"[3]

يتحقّق الموت المعنوي من دلالة الأشياء القاتلة؛ الحب، الاختلاجات، الوسواس، والوفاء. حيث يحمل فيض المشاعر عذابات وجراحات، أزاحت ما بين الموت والحياة من حدود وفواصل، ومن مثل هذا أيضا نجد:

"أهل القبيلة يعلمون تورُّطي في زمهريرِكِ
يكرهون تمثّلي –غجريةَ الأسرار – فيك
وفي أغانيك الّتي لفّتني
كيف تلتحم المنية بالحياة"[4]

فقدت الحياة معناها أمام وجع الفراق، فلم يجد الشاعر إلاّ العتاب؛ كون حبه لغجرية الأسرار ألغى حب أهل القبيلة كلها. إنّ انعدام التوافق بين المشاعر، صوّره «ياسين أفريد» بأسلوب ألغى مسافات البعد بين الموت والحياة، فكان الالتحام بين المنية والحياة صورة شعرية تعبّر عن حالة الشاعر، و"قد خُلق الإنسان كي يموت، ويموت الإنسان كي يُبعث حياً من جديد وبهذه الثنائية تتضح حقيقة الموت والحياة"[5] وما ذلك سوى اعتراف بخواء الحياة من معناها وباقتران الحياة بالموت.

كما يقول الشاعر :

"فاجأتني بباقات فلٍّ
وجاءت كما خلتها
نازف كقتيل تورّط في دهشة المشتهى

قلت: أرسم بالشعر شكلا لذا الشعر

أو أرتقي تَوْقهَا سُلما"[6]

هي صورة لموت معنوي تعبّر عن تفاعل الشاعر مع موقف جارته الّتي فاجأته بباقات الفل، ولم يكن باسما وإنما كان نازفا، لم يكن أميرا وإنما كان قتيلا. وتتضح رؤيته للحب كتجربة عاطفية اختار مقاومتها بإبداع فني وقد شبّه نفسه بالقتيل، وهذا يدل على موت معنوي، يرمز للعذاب والشوق، قد فكّر «ياسين أفريد» في الرسم بالشعر "لكي لا تموت العبارات والشعر"[7]، وهو يخاف على العِبارات والشّعر من الموت، ولا يجد موقفا صارما ينتصر من خلاله على هذا الموت الدال على الألم العاطفي.

وفي قصيدة "للقلب كل الغرق" يقول الشاعر:

"ماجت حدائقُها

فالضوء يندفق

حمامةَ الروح،

هيّ البحر، والغرقُ

حلَّت نبيذا

بقحط القلب،

طافحةً

فأينع الزّهَر المكلوم، والعبقُ"[8]

تتجلى المأساة من خلال دال (الغرقُ)، فالقلب نبض الحياة ونبض الحبّ عندما يطاله الغرق يكون قد ولج أبواب الموت، فلا سعة لفضاء البحر، ولا إحساس بجماله، وعلى أريج ورود الحدائق يبدو إشراق الحياة، وحمامة الروح قد خانت مشاعر الحب وضيّعت السلام، تتحوّل حمامة الروح إلى بحر ضياع فيصبح الموت من الممكنات، لكن الشاعر جعلها دلالة على مقاومة القحط و(القحط) دال على جفاف الحياة ومؤشر على إقبال القلب على الموت، وفي ذلك انتصار على هذا الموت المعنوي. لقد اتسع المجال الدلالي للغة حيث وظفها الشاعر بأسلوب انزياحي، إذ تناغمت الكلمات بدلالات مختلفة مما منح اللغة خاصية التجديد، "واللغة بعامة تخلق خلقا جديدا حين تدخل الشعر. ومرد هذا الخلق الجديد ليس فقط لأنها دخلت الشعر، ولكن لطبيعة العلاقات المجازية والبلاغية والنحوية الّتي يضعها فيها الشاعر."[9] لقد حقق السياق اللغوي تعدد المعنى واتساع الرؤية الشعرية، فكان الخطاب الشعري مجالا خصبا يجد فيه المتلقي رموزا قابلة للتّأويل.

3. دلالة موت الذّات الشّاعرة:

احتفى الشعر المعاصر بالذات الشاعرة فكثير ما تكون أنا الشاعر مجالا لبث الآلام والأحلام، وهذا ما نجده عند «ياسين أفريد» ففي قصيدة "القناديل الّتي لا تنطفئ .. تختفي" يضع الشاعر مدخلا اضطراريا جاء فيه:

" لا فرق بين الشاعر والشارع ...
لأن كليهما يفضي إلى فجيعة"[10]

يتأسس هذا الخطاب الشعري على لغة الموت المعنوي، إذ تتساوى النهاية عند الشاعر والشارع، وهي نهاية فجائعية، تحمل دلالة اليأس والإحباط الّذي يمس الشعراء عندما لا يجدون صدى لأحلامهم ولا ينتصرون لواقعهم، وكثير من الشعراء عبر العالم كانت نهايتهم الموت بل بالتحديد كانت نهايتهم فجيعة الانتحار وفي هذا الصدد أصدرت جمانة حداد سنة 2007م كتابها "سيجيء الموت وستكون له عيناك" وفيه تقول: "لا شك عندي في أن الشعراء المنتحرين في القرن العشرين هم أكثر من مئة وخمسين، لا بل ربما أكثر بكثير من هذا الرقم: فصحيح أنّ من الصعب أن أكون قد أغفلتُ اسم أي شاعر "كبير" وأساسي، وصحيح أن هذا العمل يشكّل مسحاً لثمانية وأربعين بلداً، ولكن: ماذا عن الشعراء والبلدان الّذين لم استطع الوصول إليهم، بسبب عائق اللغة أو المسافة؟"[11] وبذلك يمكن القول أن الشاعر قد يهز النفوس طربا، عندما تكون كلماته تحتفي بجمال المشاعر، المستمدة من لغته وجماليتها الفنية، وقد يبث آلامه، فيكون شعره ثورة على الواقع، وعندما تكون نفس الشاعر ضعيفة لا يكتفي بكتابة الألم ويتجه نحو الموت كنهاية أكثر مأسوية؛ لأن الدين الإسلامي يحرم الانتحار.

ينطفئ الشاعر بعدما يفقد قوة المقاومة وفي ذلك يقول "«ياسين أفريد»":

"مرّ من ها هنا بلبلا شرّدته العواصف
والعمر أيقونة مطفأه
قيل لي شاعر يتأهّب للانطفاء !
ربما شارع ضالع بالحنين،
وبالدعاء"[12]

يبدو الشاعر متعجّبا من الانطفاء، لأنّ هذا الانطفاء يخص شاعر ما، وهو يحمل دلالّتين؛ منه ما تعلّق بالجانب الإبداعي فيكون الانطفاء انطفاء الكلمة الشعرية، ومنه ما تعلّق بالعمر فيكون الانطفاء هو الموت، وكما الفعل (قيل) مبني للمجهول كذلك الرحيل لا أحد يعلم بموعده، وهذا الإحساس عند الشاعر تجليا للموت المعنوي الّذي يدل على موت حقيقي سيتحقق يوما ما.

ويجيب الشاعر:

"قلت: لا فرق ..
كم مرّ تركبه الخطى متعبا
قبل أن رجّه الموت، ما أرجأه
شاعر في عيونه حزن المساءات"[13]

يرى الشّاعر "«ياسين أفريد»" أنه لا فرق بين الشاعر والشارع، وقد تشكل خطاب الموت المعنوي من خلال مؤشرات سلبية (متعبا، رجّه، الموت، حزن، المساءات) وهنا تتحول الذات الشاعرة إلى صورتها الجماعية الّتي رمز لها «ياسين أفريد» بالشاعر، ليتقاسم الحزن والهموم مع الشعراء. كما يتجلى الموت المعنوي من خلال قول الشاعر:

"وهذا أنا
مثل كلّ الّذين انطفوا
كومة رماد
تخبّرها الرّيح
عن وجهة العاصفة"[14]

يشبّه «ياسين أفريد» ذاته بكومة الرماد، ومن دلالات الرماد السكون والنهاية، والتحول، واغتراب الشيء عن حقيقته لكونه بقايا احتراق، فالشاعر يعلن موتا معنويا، لأن رؤيته تمتد نحو النهاية.

4. الشّعر وخطاب الموت المعنويّ:

تمثل الشعر في ديوان "نبيذها أم دمي؟" موضوعا تجلى من خلاله الموت المعنوي، وفي مطلع قصيدة "آمنت بي ... الفراشات" يقول الشاعر:

"للطواويس كل المحافل والصولجان
ولنا شعرنا
دعوا الشّعر يحفر بين الدماء
مسالكه الشائكة"[15]

يستمد عنوان القصيدة دلالته من رؤية الشاعر للموت، فالفراشات عند الشعراء، ترمز للعمر القصير، رغم ذلك يقاوم الشاعر من أجل البقاء، يواجه الحياة بفعل الكتابة، لا يأبه بالعنف ولا بالموت، فبالشعر ينفذ الشاعر إلى جراحات الذات، وهنا تتضح رؤية الشاعر للتسلّح بالقصيدة لمواجهة البؤس والدمار، وكل ما هو سلبي، ويشكّل صعوبة في استمرار الحياة واستقرارها، "فالشّعر يحرر المرء من كل القيود الّتي تمارسها عليه الحياة"[16] والقصيدة قد تقاوم الموت المعنوي، الّذي يدل على الصراع الحضاري الّذي اتسمت فيه الحياة بالعنف والتوتر، فمثلا في ظل الأزمات السياسية والحروب قد يكون الشعر وسيلة مقاومة.

قد تستحق القصيدة أن يموت الشعراء من أجلها وفي ذلك يقول «ياسين أفريد»:

"دعوا هذه الروح كي تستريح
وافسحوا للشذى معبرا
بين أرواحنا المنهكة

إننا معشر الشّعراء

نحب – ولا نستحي – أن نموت

وفاء لأشلائنا، للقصيدة

حتى التهالك والتهلكة"[17]

كانت الروح متعبة وأرواح الشعراء منهكة، وكان للموت جماليته إذ تجلى بصورة المحبوب والمرغوب فيه دون استحياء، ولهذا الموت عند الشاعر عظمته وله طابع الوفاء؛ لأنه موت ليس كأي موت؛ موت يلغي موت القصيدة. والموت من أجل القصيدة لا يؤخذ هكذا بمفهومه السطحي بل يحتاج إلى تأويل فهو موت من أجل الوطن، من أجل الحياة الجماعية، ومن أجل كلمة الحق، من أجل كل ما هو جميل، وكل رسالة حملها الخطاب الشعري، كما أن هذا الموت قد تحقق في عالم الشعر فكم من قصائد قتلت أصحابها.

وفي قول الشاعر:

"هو الشعر يذبحنا بالتواطؤ عام فعاما

لماذا نحدث أرواحه، ورياحينه عن الأمنيات

لماذا نحمّل للشعر أوجاعنا

فلا يخطئ الشعر إلا لماما"[18]

يأخذ الشعر من الشعراء حياتهم ويدفع بهم إلى الموت المعنوي، رغم أنه يتعطّر من شذى كلماتهم، ورغم أنه أيقونة لأمنياتهم، لقد كرّر الشاعر العبارة الشّعرية: "هو الشعر يذبحنا بالتواطؤ عام فعاما" خمس مرات عبر القصيدة مؤكدا الحزن والموت المعنوي ففي ختام القصيدة يقول:

"إنما افترش القلب أحزانه والجليد ونامَ

هو الشعر يذبحنا بالتواطؤ عام فعاما"[19]

اعتمد «ياسين أفريد» على الصورة الفنية الّتي تمنح خطاب الموت المعنوي حضورا، وهذا الموت كان للشعر دور في حدوثه، كما كانت له أسبابه فالشعور بعدم الحياة هو ما دفع القلب للنوم مفترشا الأحزان والجليد، والنوم "تجربة مصغّرة لرحلة الموت الطويلة"[20].

تأخذ القصيدة أحيانا معنى الموت،كما في قصيدة "هجير" حيث يفتتح الشاعر القصيدة بتصدير يقول فيه:

"عندما أكملَ الانحناء دورته...

صارت القصيدةُ غجريةً

تدلُّ علينا التوابيتَ وخفافيشَ الظلام."[21]

إنّ الانحناء، الخفافيش، التوابيت، والظلام، مدلولات ذات بعد مأسوي، فالقصيدة عالم ينجلي عبره الموت من خلال سيميائية التوابيت، كما تتجلى رؤية الشاعر للتجديد في الإبداع الشعري فدورة الحياة عند القصيدة لا

تنتهي وكل نهاية هي بداية، وذلك يطرح إشكالية الحداثة ومدى ارتباطها بالتراث، وفي هذا الصدد يقول أدونيس: "حين تجد اليوم شاعراً يرتبط بالسطح، يبدو كأنه يتحرك في زمن مقفل كالتابوت. تقول عنه أنه لا يحيا أو ليس شاعراً، أو إنه نظام. الشاعر الجديد، إذن، منغرس في تراثه – أي في الغور – لكنه في الوقت ذاته منفصل عنه.إنه متأصل لكنه ممدود في جميع الآفاق"[22] فاكتمال الدورة يرمز لموت الشعر وذلك ما عبّر عنه أدونيس بقوله:"كن الحد النهاية تكن قبراً.كن اللانهاية تكن نفسك، تكن الإنسان والحياة والكون"[23] فالقصيدة لا بدّ أن تتجدد ولا تنتهي.

وفي مثن القصيدة يقول الشاعر:

"هل يعرف الشعراء شيئا مثل هذا؟

فالقلب تذبحه القصائد..

أيها الشعراء

كم من شاعر عاش يحمل حلمه في نعشه

يهوى بلادا"[24]

يتساءل الشاعر عن مدى وعي الشعراء بخطورة القصيدة على حياتهم، والقصيدة هنا ظالمة طاغية تأخذ من الشعراء حياتهم، عنيفة تستهدف القلب وهو نبض الحياة. وتبقى الجملة الشّعرية: "فالقلب تذبحه القصائد.." قابلة للتأويل والإضافة، فنقاط الحذف شاهدة على كلام غائب يستحضره القارئ وفق رؤيته، إذ تمثل مكونا تأويليا ذلك ما يجعل النص الشعري أكثر ثراء معرفي بانفتاحه على تعدد القراءة. ولم تكن النبرة الخطابية عائقا أمام شعرية اللغة، لأنها وردت مكللة بخيال الشاعر، بعيدة على الواقعية، تدل على موت معنوي للشعراء.

وللقصيدة موتها، حين يُفتقد الهواء يقول «ياسين أفريد» عن الشاعر:

"أبدا يفتش عن هواء

أو حمام

كالطفل يجهش

حين تذبح القصيدة في الرّحام ؟!

هل يعرف الشعراء شيئا مثل هذا ؟

شرّدت ومدَّت جرحها للجرح"[25]

يرمز الشاعر بالهواء إلى الحياة، وبالحمام إلى السلام، وعبر هذه الأسطر الشعرية تكون للقصيدة دلالة الموت، والقصيدة هنا لم تعد مجموعة حروف؛ فهي المعادل الموضوعي للحياة، هي وعاء الهموم، هي نص شاهد على الجرح، ولا يجد الشاعر صورة تعكس جمال الحياة وهو يعود إلى البداية؛ إلى الطفولة، ليكون قد استغنى عن سنوات من العمر وليقدّم صورة توحي بالحزن والخوف.

5. الاغتراب ودلالة الموت المعنويّ:

يتجلى الاغتراب في ديوان "نبيذها أم دمي؟" بصور مختلفة وكان لهذا الاغتراب دلالة الموت المعنوي ومن أنواع الاغتراب، نجد الاغتراب الزمني، والاغتراب المكاني.

5. 1. الاغتراب الزّمنيّ:

يكون وقع الزمن ثقيلا على الذات عندما يقترن بالوحدة والملل والألم، أو عندما يكون متحولا من زمن التواصل إلى زمن الوحدة فيشعر الإنسان بالاغتراب، وللاغتراب الزمني دلالة في شعر «ياسين أفريد»، فعن اغتراب مساء المدينة يقول:

"فعمّ تفتش في الرحيل .. عمَّا ؟ !
مساء المدينة
ليس كما يشتهيه المساء
سأطفي الشموع – يقول الغسق –
وأعبر من جثّة الانطفاء..
فلا تحتمي بالشفق
مساء المدينة
أودعني سرَّه في الغياب
وعند الحضور استفاق الحداد"[26]

يتجلّى الاغتراب من خلال الرحيل، وتحقق المدينة هذا الاغتراب من خلال المساء لأنه لم يكن كما ينبغي أن يكون المساء، وقد رمز الشاعر للموت بالرحيل فالموت عند الشاعر المعاصر تعددت دواله، و"إن تعدد مفاهيم الموت في الحياة المعاصرة شكل سببا كافيا لدخول هذا الشاعر في خضم تجربة لغوية جديدة تكفل له الصدق الفني المأمول وتمكّنه من خوض صراع جمالي متكافئ مع الموت وأقنعته المتعددة"[27] ، ويمنح الشاعر للغسق مقاومة الموت، ولاغتراب المساء الحداد، فالموت المعنوي يعني موت الحقيقة.

ومن المقاطع الشعرية الدالة على استمرار زمن الموت يقول الشاعر:

"نموت كذا مرة كلّ يوم
ونصبح موتى نعربد خلف السراب
لماذا تصرّ على كل هذا الحضور
ونأبى
سوى أن نصرَّ عل مثل هذا الغياب !!"[28]

يُشكّل الموت بنية مهمة في هذا الخطاب، فمن الموت معنوي المرتبط بالحياة، يستدرجنا الشاعر إلى الموت المادي، وقد استخدم الصورة الشعرية ليمنح الموت دلالات متعددة، "والصورة توّسع المسافة بين الدال والمدلول"[29] محققة رؤية الشاعر لواقع الحياة، المبنية على رغبة الإنسان في تناسي الموت رغم أنه يعيش اغتراب الدنيا قبل الموت.

يمثّل الليل زمنا للموت المعنوي، كونه زمن الاغتراب والوحدة، وقد ارتبط بالمفهوم الفردي والجماعي للاغتراب، حيث يبدأ الشاعر باغتراب جماعي في قوله:

"فاغتربنا وبدأنا الهديل

استقل من تنسكها مثلما فعلوا

– قال هذا المدى — !

قلت: لن أستقيل

بِع قناديلها مثلما فعلوا واغترب

أفَلَ العشق يا واقفا في المهب

هنا يجمع الليل بين وجهين في واحد

قاتل وقتيل"[30]

يتحوّل هذا الاغتراب إلى اغتراب فردي، ويصبح الليل خير شاهد على الاغتراب فهو مجال الموت فيه جمع الشاعر بين القاتل والقتيل، واللّيل" هو الستار الّذي يغطي على ضجيج الحياة (...) والليل يعني الظلمة، والظلمة دليل على الموت"[31] وهو يرمز بذلك إلى موت معنوي يدل على البعد والفراق.

5. 2. الاغتراب المكاني:

يتجسّد الاغتراب المكاني عند الشاعر، من خلال غياب التواصل مع المحيط والإحساس بالوحدة، وفي قصيدة "غربتان" يقول الشاعر:

"غربتان اثنتان

وتسع وعشرون عاما من الّتيه

كان بيني وبين بلادي دمي

وعيونُ الّتي وهبتني شهيّ الشّرود"[32]

يبتعد الإنسان عن بلاده فيعيش اغترابا متعدد الجوانب (اغتراب مكاني، واغتراب اجتماعي، واغتراب لغوي واغتراب ديني..) فأي مغترب يعيش أحد هذه الأنواع من الاغتراب، أو بعضها، أو كلّها حسب البلاد الّتي يختارها، ومن خلال هذا الاغتراب تصبح الحياة لا معنى لها، هي موت عبر الحياة، ولكن للشاعر غربتين، وقد صرّح باغترابه عن بلاده في حين تبقى الغربة الأخرى غامضة ولا يمكن أن نؤولها إلا من خلال غربته في الدنيا،

فالكل غريب في هذه الدنيا والآخرة هي دار القرار، لقد دلّ الموت المعنوي على قيمة الوطن، وقيمة الحياة، وحتمية الموت فالدنيا فانية، نعيمها زائل، الموت هو النهاية الّتي يتساوى فيها الجميع.

عمِل الشاعر على استحضار تجربة الموت كواقعة حتمية فصوّره اغترابا مكانيا دالا على موت معنوي وموت مادي، ليعبّر عن انكسار الأحلام، ويتّضح ذلك فيما يلي:

"تفجع الحلم في عتمات المكان !

غربتان اثنان

وها زهرة العمر يأخذها

مطر زاحف"[33]

هنا تفقد غربة المكان أهميتها أمام غربة الحياة، مما يدل على موت معنوي يستحضر الموت المادي، فللحلم فجيعته في عتمات المكان، وللعمر اغترابه بعدما كان مزهرًا، هي صورة مؤقتة للحياة وتحولاتها نحو الموت، فالمطر رمز الحياة ورواء الزهور تحولت دلالته إلى رمز الموت فكان هو من أخذ زهرة العمر.

كان فراق الموت نوعا من أنواع الاغتراب فلذكرى الموت عند الشاعر ألم سلب الحياة طعمها يقول في قصيدة "..ويبقى صدى الدمع والمقبرة":

"استفيض على تربة القبر

تلفحني الذكريات اللّصيقة بالقلب

أبكي بكلّ اللغات، وأبكي

بملء الجوارح والحنجرة

أبكي بكلّ النّشيج

ضحايا الحقيقة والخبز،

والمحبرة"[34]

وظّف الشّاعر رموزا متعدّدة للتّعبير عن رؤيته للحياة، إنّ إدراكه لحقيقة الموت جعل دموعه تفيض حزنا على أبيه وأخيه و"ضحايا الحقيقة والخبز، والمحبرة"، وقد دل الموت هنا على الاغتراب، وموت الحقيقة، والقيّم، والضّمير.

6. خاتمة:

من خلال بحثنا هذا توصّلنا إلى ما يلي:

– تجلّى الموت المعنويّ في ديوان "نبيذها أم دمي؟" من خلال المشاعر، والذّات الشّاعرة، والشّعر، والاغتراب بنوعيه الزّماني والمكانيّ. وكانت المشاعر ذات أثر سلبي سلبت من الذات الشاعرة الإحساس بجمال الحياة، فمشاعر الحب والصدق والوفاء أصبحت كلها دوالا للموت. دلّت على الألم، الحزن، القهر، الضياع، والاغتراب.

– عبّرت الذّات الشّاعرة عن الموت المعنوي، ولم يكن هذا الموت يعني النهاية دائما وإنما يستحضر رموز الحياة أحيانا. ودلّ هذا الموت على اليأس والإحباط، وبُعد الرؤية وكان تنبيها لمن أغفل الموت، وانشغل بالحياة.

– تمظهرت القصيدة أيقونة الموت، رمز من خلالها الشاعر إلى الإنسان والحياة، وكانت دورة الحياة بالنسبة للقصيدة تتجدد ولا تنتهي، فموت القصيدة هو خلو الإبداع من روح التجديد أو انقطاعه عن أواصر التراث.

– تجلّى الموت المعنوي من خلال الاغتراب الزمني والمكاني، فكانت رؤية الشاعر تمتد إلى غربة الإنسان في دنياه من خلال الإحساس بقساوة الزمن، ومن خلال الابتعاد عن الوطن أحيانا، أو التفكير في الموت أحيانا أخرى.

– اعتمد الشّاعر في توظيفه للموت المعنوي على عناصر موضوعاتية عبّرت عن رؤيته للحياة، وللقيم الإنسانية، والصّراع الحضاريّ.

قائمة المراجع:

1– «ياسين أفريد»: نبيذها أم دمي؟، اتّحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، (د، ط)، 2013.

2– أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت،ط2، 1987.

3– بركاتي السحمدي: تيمة الموت في شعر عبد الله بوخالفة، مجلة تاريخ العلوم ع6، 2017.

4– بشير مفتي: سيرة طائر الليل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

5– جمانة حداد: سيجيء الموت وستكون له عيناك، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2007.

6– جميلة السعيدي: بنية النص في شعر محمود درويش، مطبعة فن الطباعة، تونس، (د، ط)، 2012.

7– رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث، (د. ط)، أفريقيا الشرق، المغرب 1998.

8– عبد السلام المساوي: الموت المتخيل في شعر أدونيس، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2013.

9– فاطمة بن عدة: النص الشعري المعاصر بين البنية اللغوية والأبعاد التأويلية قصيدة "تراتيل الكلام" لناصر سطمبول أنموذجا، جسور المعرفة، م8، ع4، ديسمبر2022.

10– محمد عبد الرحمن الزيني: حقيقة الموت بين الفلسفة والدين، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011.

11– وليد مشوح: الموت في الشعر العربي السوري (1950 – 1990)، (د، ط، ت)، اتحاد الكتاب العرب دمشق.

هوامش البحث:

[1] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2003، ص72.

[2] بشير مفتي: سيرة طائر الليل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص137.

[3] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص 72.

[4] المصدر نفسه، ص20.

[5] بركاتي السحمدي: تيمة الموت في شعر عبد الله بوخالفة، مجلة تاريخ العلوم ع6، 2017، ص8.

[6] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟ 52.

[7] المصدر نفسه، ص 61.

[8] المصدر نفسه، ص 13.

[9] رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 1998، ص 78.

[10] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص 38.

[11] جمانة حداد: سيجيء الموت وستكون له عيناك ، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان،ط1،2007، ص45.

[12] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص38.

[13] المصدر نفسه، ص 38.

[14] المصدر نفسه، ص37.

[15] المصدر نفسه، ص 74.

[16] فاطمة بن عدة: النص الشعري المعاصر بين البنية اللغوية والأبعاد التأويلية قصيدة "تراتيل الكلام" لناصر سطمبول أنموذجا، جسور المعرفة، م8، ع4، ديسمبر2022، ص121.

[17] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص 74.

[18] المصدر نفسه، ص 75.

[19] المصدر نفسه، ص 79.

[20] محمد عبد الرحمن الزيني: حقيقة الموت بين الفلسفة والدين، ، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر ط1، 2011، ص68.

[21] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص 18.

[22] أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط2، 1987، ص 170.

[23] المرجع نفسه، ص 172.

[24] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص 22.

[25] المصدر نفسه، 23.

[26] المصدر نفسه، ص 31.

[27] عبد السلام المساوي (2013) الموت المتخيل في شعر أدونيس، ط1، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،2013، ص 132.

[28] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟ ص3 .

[29] جميلة السعيدي: بنية النص في شعر محمود درويش، مطبعة فن الطباعة، تونس، (د، ط)، 2012، ص159.

[30] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص 61.

[31] وليد مشوح: الموت في الشعر العربي السوري (1950 – 1990)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (د.ط)/ (د.ت)، ص 131.

[32] ياسين أفريد: نبيذها أم دمي؟، ص45.

[33] المصدر نفسه، ص 47.

[34] المصدر نفسه، ص 26.